اسم الدرس : وقفات مع سورة المنافقون

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.

درس الليلة بإذن الله عز وجل نسأل الله أن يفتح علينا وأن يسددنا ويوفقنا ويجعل أعمالنا خالصة له سبحانه وأن يجعل لنا أوسع نصيب من العمل، وألا يجعل حظنا من كلامنا هو مجرد هذا الكلام الذي نقوله.

الوقفة اليوم مع سورة المنافقون، **نمر سريعًا على السورة**:

سورة المنافقون **سورة مدنية**.

وقد ذكرتُ ترابط الجزء الثامن العشرون في مقدمة سورة المجادلة في دورة بصائر قرءانية الدورة الثالثة لمن يريد أن يطلع عليها ليعرف موقع سورة الصف والجمعة والمنافقون داخل الجزء الثامن والعشرين.

أما بالنسبة لسورة المنافقون فموقعها تحديدًا جاء بعد سورة الجمعة، فأكثر شيء يغيظ المنافقين هو أن يجتمع أهل الإيمان، لذلك جاءت الجمعة قبل المنافقون، **فالتجمع أكثر شيء يغيظ المنافقين**.

وقد كان هناك درسٌ يتحدث أيضًا في قضية النفاق، لأن قضية النفاق في القرآن عميقة جدًا ومذكورة في سور كثيرة، ولا سيما في القرآن المدني، مذكور باستفاضة في سورة البقرة والنساء والنور ومحمد مع إشارات مختلفة في سور أخرى، **وهناك سورة كاملة أفردت لها "سورة المنافقون"**، وهناك أيضًا أبحاث قيمة صدرت في قضية النفاق في القرآن لمؤلفين كُثُر أفردوا أبحاثًا كاملة لأن القرآن اهتم بذكرهم، فالأمر مهم جدًا.

فالله سبحانه وتعالى عندما افتتح سورة البقرة تكلم عن أهل الإيمان في أربع آيات، والكفار في آيتين، ثم تكلم عن المنافقين في ١٣ آية...

فذكر من الناس مؤمن واضح، وكافر واضح، وعندما جاء يتكلم عن المنافقين قال { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ }[البقرة:٨] فهو ضمن الناس لا ينتمي إلى هذه الطائفة ولا إلى تلك، فالكلام عن النفاق يطول

جدًا، وكان هناك درس عن المنافقين اسمه "متى يظهر المنافقون" حاولت أن أُجمِع فيه المواطن التي تكلم فيها المنافقون في القرآن.

ما هو النفاق؟

النفاق في الأصل **يعتمد على التخفي**، قيل الاسم جاء من نفقاء اليربوع الذي له نفق وللنفق فتحتان، يدخل من فتحة ويخرج من فتحة ثانية، بحيث يخادع...

وكذلك المنافقون يعيشون في الأنفاق وفي الظلام، وله فتحتان فتحة عند المؤمن وفتحة عند الكافر... فعندما ينتصر المؤمنون يخرج من فتحة المؤمنين "الله أكبر" وعندما ينتصر الكفار يحلف باللات والعزى ويخرج من فتحة الكفار فهو يشجع الفائز.

إذًا فالكلام باستفاضة في قضية النفاق يصعب ويطول، وكما قلنا هناك أبحاث كثيرة تكلمت بالتفصيل عن قضية النفاق بالتفصيل، وكان هناك درس اسمه "متى يتكلم المنافقون" وتتبع المواطن التي لم يستطع المنافق أن يكتم نفاقه فتكلم، قال ربنا { وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ } [محمد: ٣٠] فكان من الممكن أن يضع الله سِيما للمنافقين فيُعرفون بها، فلا نعرف المنافق إلا بهذه السمة، ولكن ذلك لم يحدث وقال ربنا في نفس الآية { وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ } [محمد: ٣٠]

ولكن كيف نعرفهم وهم في وسط المؤمنين يتكلمون كلامنا ويلبسون لباسنا؟! { فِي لَحْنِ الْقَوْلِ } [محمد: ٣٠] من خلال الكلام، فالمنافق يُكثر الكلام فيقع من خلال كلامه. فالمواطن التي تكلم فيها المنافق في القرآن وأظهر نفاقه تكلمنا فيها في درس كامل سابقًا.

اليوم سنحاول أن نسير مع النفاق من خلال سياق الآيات من سورة المنافقون.

قال ربنا سبحانه وتعالى { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } [المنافقون: ١]

ولكن لماذا يذهب المنافقون للنبي صلى الله عليه وسلم؟!

{ إِذَا } **تأتي للشيء المحقق وقوعه وليس للشك**

فهم بنسبة كبيرة سيأتون للنبي صلى الله عليه وسلم وبمجرد أن دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم يقولون { نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ }، وفي آية أخرى { وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا } [آل عمران: ١١٩]

- **لماذا يشكون في أنفسهم؟** لماذا المنافق يرى المؤمن فيقول: أنا مؤمن، وعندما يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أشهد أنك رسول الله؟
- فهو من كثرة شكه في نفسه دائمًا يعيش في ريب { فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } [التوبة: ٤٥]

فدائمًا يعيش مرتابًا مترددًا، فإذا جاء لأهل الإيمان يقسم أنه منهم وإذا جاء لليهود أو الكفار يقسم أيضًا أنه منهم، دائمًا يريد أن يرضي جميع الأطراف. { يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ }[التوبة: ٩٦] هذه من **آليات الدفاع النفاقي** سبع آليات... ذكر في بحث جميل جمع ما يسمى بآليات الدفاع النفاقي المذكورة في القرآن "كيف يدافع المنافق عن نفسه"، منها **محاولة إرضاء جميع الأطراف**.

فعندما يأتي عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول نشهد إنك لرسول الله، جاءوا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم بعد سورة الجمعة، **لأن تجمع المؤمنين يعطي قوة**، فأول ما بدأ تجمع المؤمنين، وبدأ ظهور قوة لأهل الإيمان بدأ المنافق يحذر ويأخذ احتياطاته من المؤمنين، فعندما يكون المؤمنين في استضعاف وشوكة وهناك أحزاب يقول المنافقون { مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } [الأحزاب: ١٢] ففي وقت القوة { نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } ووقت الاستضعاف لا.

ليس ذلك فقط بل يريدون أن يغيروا المسميات الإيمانية {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ } [الأحزاب: ١٣] ولم يقولوا المدينة، **فالمنافق يَتَلوّن على حسب أوقات الاستضعاف والتمكين!**

نسأل الله السلامة والعافية.

يعبد الله على حرف

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ } [الحج: ١١] إذًا المنافق يتقلب على حسب الظروف المحيطة، **أما المؤمن بداخله إيمان ثابت لا يتغير مهما تغيرت الظروف المحيطة**، فالمؤمن يستمد الثبات والقوة من داخله، فداخله ثابت والمتغيرات بالخارج، مهما تغيرت هو ثابت، أما المنافق فيستمد ثباته من الظروف المحيطة والتي بالطبع لن تكون ثابتة...

وهكذا في كل شيء في الحياة، فأنت عندما تريد أن تستمد العزة والثبات والقوة والإيمان فهذا يكون من الداخل وليس من الخارج، فلست معتمدًا على وجود شخص معين، ولا على وجود بيئة معينة، ولا على وجود واقع معين من التمكين، لأن الواقع دائمًا متقلب ومتغير، فمَن كان إيمانه مرتبطًا بالواقع من حوله يزداد إيمانه أو ينقص لأن الواقع متغير دائمًا...

مثل قول شيخ الإسلام ابن تيمية "أنا جنتي في صدري" مصدر الثبات والإيمان والعزة والسعادة من الداخل، فيقول بما أن جنتي في صدري فالظروف المحيطة بي لن تؤثر عليَّ "ماذا يفعل أعدائي بي؟!" وهذا أحد معاني { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } [النساء: ١٤١] فطالما الإيمان في قلوبهم لن يجعل الله عز وجل للكافرين على المؤمنين سبيلًا.

فالمنافق بعد سورة الجمعة اتجه مباشرة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن هذا هو شغلهم، فهو يدرس الأوضاع ويحسب حساباته، وبما أن المؤمنين الآن في مرحلة بدايات التمكين إذًا نتجه للنبي صلى الله عليه وسلم ونقول { نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } فكذبهم الله عز وجل فقال ربنا سبحانه وتعالى { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }

المفسرين **قالوا الأصل أن القرآن يكون مبنيًا على الإيجاز لا الإطناب**، فكان متوقعًا أن الآية تكون { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } فكان متوقعًا أن يقول الله عزوجل والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، ولكن لماذا قال الله { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ } قبل قوله { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }؟!

هذه الجملة جاءت احترازًا... لأنه إذا جاءت الآية بصورة إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون؛ قد يُفهَم منها أنه ليس رسول الله لأن المنافق يقول للنبي أنت رسول الله فربنا يقول للمنافق أنت كاذب... **وكاذب هذه تحتمل أمرًا من اثنين:**

- أن لسانك لا يوافق قلبك؛ فهذا كذب
- أو هذه الجملة أصلًا خطأ

فهذه **الجملة أصلًا صحيحة، إنما كذبهم أنها لا توافق ما في القلب**...

فدائمًا الكلام مع المنافق محتاج إلى احتراز وضبط للكلام، فدائمًا المنافقون يستضيفون من يمثل الدين لكي يوقعوه من خلال الكلام، فيجب عليك أن تكون ضابطًا لكلامك { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } فهذه الجملة صادقة، لكن أنتم كاذبون... فجاءت الجملة الأولى تقول { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ } إذًا الجملة نفسها صحيحة لكن أنتم كاذبين، أي لا توافق قلوبكم { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ }.

آليات الدفاع النفاقي

{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً } قيل أنهم عندما كانوا يذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا فقط يقولوا نشهد إنك لرسول الله بل كانوا يقسمون: "والله لأنت رسول الله" فالمنافقون دائمًا تأخذهم الحماسة في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم... **كان يظهر أنهم من أكثر الناس حماسة**...

كان عبدالله بن أبي بن سلول قلّما يمر مجلس من مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ويقوم ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم، فبعد غزوة أحد رجع بثلث الجيش، فبعد غزوة أحد قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبًا وقام ابن سلول وقال: والله لن نتركك، فقال له: اسكت أخزاك الله،

فالمنافقون اعتادوا القسم والحماسة دائمًا، وأن يتكلموا عن أنفسهم كثيرًا فالله سبحانه وتعالى يقول { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً } كانوا يقسمون بالله إنه رسول الله، ويقسمون بالله أنهم مؤمنون، **فهذه أحد آليات الدفاع النفاقي استعمال القسم**، فهو يعلم أن المؤمن يُعظم الله فيدخل له من مدخله، وسنتكلم الآن إن شاء الله عن الحكمة النبوية للنبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المنافقين، فيجب أن يكون لديك حكمة في التعامل معهم.

{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً } أي: وقاية وحماية للحفاظ على أنفسهم.

{ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ }: فهذه الفاء تعقيبية، فبالتالي ترتب على هذا القسم أنه صد عن سبيل الله.

قال المفسرون ما هو الصد عن سبيل الله الذي ترتب على هذا القسم؟

- **اختار الطبري** اختيارًا عجيب جدًا: صدّوا عن سبيل الله فيهم أي: صدّوا عن تطبيق شرع الله فيهم، فشرع الله فيهم أن يُقتلوا لأنهم ءامنوا ثم كفروا فهم في حكم المرتدين، فعندما مَنع تطبيق الشرع فيه أصبح صادًّا عن سبيل الله. فقال الإمام الطبري صدوا عن سبيل الله أي: صدوا عن تطبيق شرع الله فيهم، **وهذا الشرع هو تطبيق حد الردة**.

- **وقال آخرون**: صدوا عن سبيل الله لأنه عندما أظهر الإيمان اعتبر بين الناس مؤمنًا، وبقية الأعراب عندما يريدون أن يطلعوا على أهل الإيمان يعتبرونه مؤمنًا، فيرون المنافق يطبق أخلاق المنافقين، فيقولون أهذا هو الإيمان؟! **فيكرهون الإيمان بسبب وجود هؤلاء المنافقين**؛ لأنهم لا يعرفون أنه منافق، فهو أمام الناس مؤمن! فيأتي الناس إلى المدينة للنبي عليه الصلاة والسلام فيُصَدَّون عن سبيل الله عندما يرون أخلاق المنافقين ويظنون أنها أخلاق أهل الإيمان.

- أو صدوا عن سبيل الله: في الجهاد، أنه **يخرج في الجهاد ثم يرجع في وسط الجهاد فيثبط أهل الإيمان**، فالشاهد أن وجودهم وسط المؤمنين وهم منافقين هذا جعلهم يصدون عن سبيل الله.

{ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } **أسوأ شيء الإنسان ممكن يفعله أن يصد عن سبيل الله**، أو يمنع جزءًا من الشريعة أن تطبق، أو يتسبب في عدم تطبيق الشريعة أو جزء من الشريعة.

لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء

{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } قال المفسرون: **هل المنافق آمن فعلًا في أول الأمر ثم كفر أم آمن استهزاءً؟!** نطق بكلمة الإيمان فقط لكنه في الأصل كافر! والشاهد أنه **من الممكن أن تكون جميع الأصناف موجودة**

فمنهم من آمن ثم عندما مر المسلمون بمرحلة استضعاف كفر فلم يترسخ الإيمان في قلبه بعد، وكثير من آيات القرآن التي تذكر فيها في قلوبهم مرض اختلف فيها المفسرون **هل من في قلبه مرض معناه أنه منافق أي: غارق في النفاق أم من ضعاف الإيمان ينقلب منافقًا ثم يرجع مؤمنًا؟**

- بعض المفسرين اختار أن من { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } [البقرة: ١٠]: هم ضعاف الإيمان، الذي يفقد جزءًا كبيرًا من الإيمان فإما يسقط في وحل النفاق أو يَمُنّ الله عليه وينقذه من هذا الوحل ويصير مع أهل الإيمان.

إذًا **هناك طوائف تظل قريبة من النفاق** كما قال النبي عليه الصلاة والسلام " أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا "[1] **فهناك أخلاق كلما ازدادت تزداد صفة النفاق**... فمن كان فيه جزء من هذه الأخلاق كانت فيه شعبة من شعب النفاق... ممكن واحد أربعون في المائة منافق، على حسب أخلاقه.

فليس شرطًا أن يكون منافقًا كاملًا أو مؤمنًا كاملًا، فمن الممكن أن يكون أقرب للنفاق أو أقرب للكفر.

فقد يجتمع في الإنسان شعب من النفاق وشعب من الإيمان، تجتمع فيه، إذا غلبت عليه شعب الإيمان يصير مع أهل الإيمان، وإذا غلبت عليه شعب النفاق يقترب من النفاق ويكون في خطر، وسيأتي هذا المعنى في ختام السورة **"تحذير لأهل الإيمان من الاقتراب من وحل النفاق"**.

{ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا } فعندما تعامل مع الإيمان تعامُل المستهزئ طُبع على قلبه، لم يستحق هذه النعمة والعياذ بالله.

تعبير { فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } يتكرر كثيرًا في القرآن مع المنافق واليهودي والكافر. وسنرى الآن عندما يأتي {فهم لا يفقهون} "وهم لا يعلمون"

{ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ } أي في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم.

الآيات السابقة كان فيها استطراد { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ } جاءوا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم... فهاتان الآيتان كان فيهما استطراد، أن ما يفعلونه من قسم تسبب في الصد عن سبيل الله ثم حكم عليهم بالكفر لأنهم استهزءوا بالإيمان.

الآية الرابعة تتكلم عن وجودهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم... { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ } أي هؤلاء المنافقين { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ }[المنافقون: ٤]

[1] أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ.
الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري
الصفحة أو الرقم: ٣٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

يفضل الوقف على { وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ } تقف هنا ثم تقول { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ }، وإذا أردت الوصل تصل الآية من أولها...

فلا تبدأ { وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ } وإن كان قد اختار هذا الوصل "الظلال"...

لكن الأغلب أنك إما أن تقف على { تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ } أو تصل من أول الآية، وهذا لأن "تعجبك أجسامهم/// وتسمع لقولهم" وصف فيه مدح للظاهر، أما { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ } فهو وصف ذم لهم.

أيضًا من آليات الدفاع النفاقي كثرة الاهتمام بالظاهر عن الباطن، فالمنافق يهتم كثيرًا بالظاهر.. بالمظهر والشكل الخارجي، وكلمات الإيمان الخارجة باللسان، ويتقن الكلام، فأنت من الخارج يعجبك جسده، فهو شخص قوي تراه تعتقد أنه شجاع، ومن خلال كلامه تشعر أنه كريم، نبيل، وجواد، تعتقد هذا من ظاهره دون أن تعامله فلا يظهر على حقيقته، فالمنافق يتجمل جدًا في الظاهر لأنه خرب في الباطن، فكل طاقته موجهة لإصلاح الظاهر فقط...

فالإنسان له طاقة محدودة فإذا وُجهت الطاقة في أمر ستستهلك من مكان آخر، فالإنسان إذا وجه كل طاقته للاهتمام بالظاهر فقط ولم يوجه أي اهتمام لتزكية نفسه أي أمراض القلوب ليعالجها، ولا يركز أبدًا في الباطن تحدث خسارة في الباطن، خسارة كبيرة جدًا..

من صفات المنافقين

فربنا سبحانه وتعالى يقول أنه في الظاهر مهتم كثيرًا بالشكل الخارجي، فتراه من بعيد { تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ } وإذا تكلم –وإن كان يتكلم بحذر– لذا جاءت "إذا" مع الرؤية لتبين أنه يظهر كثيرًا... ولكن كلامه قليل وبحذر

{ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ } فهو يقول كلامًا تشعر أنه متزن، فتراه يتكلم عن نصرة الدين، يجيد الكلام... لكن هو في الحقيقة من الداخل لا شيء من ذلك، وقد شبههم الله عز وجل أثناء مجلس النبي صلى الله عليه وسلم { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ } قال المفسرون ما المقصد من هذا التشبيه؟

لماذا شُبه المنافقون بالخشب المسندة؟؟

- فالخشب **خالٍ من المشاعر**، فهو يجلس بدون أي مشاعر، النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم عن التوحيد، عن الله، عن الدار الآخرة، عن الدين، وعن المستضعفين وهو بدون أي مشاعر، لا يفكر إلا في ظاهره، ودنيته، لا يفكر أبدًا فيما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم...

لذلك قال الله عز وجل { إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا } [محمد: ١٦] فيحضر مجلسًا كاملًا من مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما يخرج يقول استهزاءً هل كان يقول شيئًا مفيدًا؟! فهو في المجلس كالخشبة بدون أي مشاعر وبدون أي عقل.

- وقيل أن مسندة بمعنى أن المؤمنين كانوا يجتمعون حول مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، حريصون أن يكونوا بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم، أما هؤلاء فكان لديهم حالة من الترفع، يقولون: أنقعد وسط الفقراء! لا! نحن لنا مجلس خاص بعيد، فقالوا **أن مسندة هنا المقصد منها الترفع**.

- وقيل إن الخشب المسندة: هو **الخشب الذي لا قيمة له**، فأنت تصنف الخشب وتحدد ما الذي يوضع في السقف، أو الحائط، والخشب الأجوف المسوس الذي لا نفع فيه يستند به على الحائط، فقالوا لأنهم لا قيمة لهم، لا نفير للجهاد أو طلب العلم أو حفظ القرآن أو الدعوة إلى الله مستند على الحائط! إلى متى ستظل هكذا بلا قيمة؟! ما الشيء الذي تنتظره لكي تتحرك؟!

وهذا الكلام لنا وليس للمنافقين فقط!

فصدقًا؛ وصف {خشب مسندة} إذا أردنا أن نسقطه على أنفسنا؛ إلى متى سنبقى نستند على الحائط! في مشهد المتكئ المترف الذي يجلس يستمع القرآن، كلام يهز القلوب ويدك الجبال و لا يتحرك {خشب مسندة}

يسمع أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ولا يتحرك، يسمع استغاثات المستضعفين من المسلمين ولا يتحرك، يسمع تحريفًا وطعنًا {وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} [التوبة: ١٢] ولا يتحرك كالخشب المسندة، ليس فيها روح، جوفاء، لا تقبل الحكمة والعلم...

تلك من المعاني التي قالوها في الخشب المسندة؛

- أنه لا يقبل أن يُوضع فيه شيء أبدًا

- فاقد للمشاعر
- غير مترابط مع بعضه
- كل خشبة ملقاة وحدها
- في الأصل المنافقين غير مترابطين مع بعضهم البعض، كل منهم يفكر في مصلحته
- لا يتحرك لينفذ ما سمعه من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم

كل هذه المواصفات –وهذا من إعجاز القرآن– تصدق على المنافق؛ أنه لا قيمة له، مهمل، لا يُنتفع به، يأخذ مكانًا في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقط دون فائدة منه، لكن هو في الظاهر يبهرك

على أحد تأويلات قوله سبحانه وتعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [البقرة: ٠٤ ٢] حين يتكلم في الدنيا تجده مبهرًا، وهذا ذكرناه قبل ذلك في مجلس {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[البقرة: ٢٠٤] حين يتكلم يقول أقسم بالله كذا... كلامه رائع { وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ }[البقرة: ٢٠٥] قيل أي ابتعد عنك أو عُيِّن في ولاية { سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ }[البقرة: ٢٠٥]

فالشاهد هنا: { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ } **هذا الظاهر،**

الباطن { خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ } فاقد للمشاعر، فاقد للحركة، فاقد للبذل، فاقدين للترابط مع بعضهم، لا يفعلون أي شيء، نداءات القرآن والسنة متتالية عليه لا يتأثر، لا يفعل أي شيء { خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ }،

ضرورة محاسبة النفس

فالإنسان محتاج أن يراجع نفسه هل يَصْدُق عليه جزء من هذا الوصف

نحن قلنا: قد يصدق على المؤمن بعض أوصاف المنافق، فالمؤمن يحتاج أن يحاسب نفسه على بعض الأوصاف المذكورة في القرآن حتى عن الكفار { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا }[الأحقاف: ٠ ٢] ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاتب نفسه بهذه الآية وهي في الكفار... فأن تعاتب نفسك وأن تحاسب نفسك على آيات ذُكرت في الكفار والمنافقين هذا مطلوب... فتحاسب نفسك هل عندي شعبة من شعب النفاق؟ هل لدي شعبة من هذه الشعب؟ هل تلبست بشيء منها؟

هل أنا تتوالى على قلبي وعقلي نداءات القران والسنة ولا أستجيب { لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ } [الأنفال :٢٧]... { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ }

خوف دائم

{ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ }: قيل كل آية يتلوها النبي صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الفاضحة له { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ } [التوبة :٦٤] يخاف أن يُفضح... أو { يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ } **كل صيحة يخاف... لماذا؟**

لأنه لا يعرف من الذي سيربح، هو ليس بصاحب عقيدة، أي حرب تنشب بين أي فئتين يقلق ويخاف... قلنا دائمًا هو يشجع الرابح، فهو لا يعلم من الرابح، فيظل خائفًا طوال الحرب، المؤمن يتبع الإيمان إلى النهاية والكافر يتبع الكفر إلى النهاية ويموت على الكفر والمؤمن يموت على الإيمان، أما المنافق فهو جالس محترز أين سأذهب الآن... سأكون مع من؟ من ربح؟ إن رجحت كفة المؤمنين... اختار البقاء مع المؤمنين، هناك تعادل، فلا يعلم أين يذهب! أصبحت الكفة لصالح الكفار يكون معهم، **إذًا هو متحير**.

المسلمين انتصروا في بدر>>> الله أكبر ...

انهزموا في أحد>>> اللات والعزى...

الأحزاب>>> { يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا } [الأحزاب :١٣] ...

فتح مكة>>> لا أنا رجعت مسلمًا مرة أخرى!

ويظل يتغير ويتلون على حسب الواقع المتغير من حوله.

أخطر عدو

{ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ } يأتي "العدو" بالألف واللام، **وكأن هناك حصر!**

كأنه هو العدو الحقيقي، وأخطر عدو، لماذا؟

لأن العدو الثاني ظاهر، العدو الثاني ممسك سيفه... اليهودي والكافر يحارب الإسلام بقمة الوضوح، لكن المنافق يجلس وسط مجلس النبي صلى الله عليه وسلم { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا } [التوبة :٤٧] المنافق قد يخرج وسط المجاهدين ليُضعف الصف!

فكأنه كلما زاد عدد المنافقين في الجيش قلَّ العدد في الحقيقة! فإذا كان الجيش ألفًا، وزاد عليهم ١٠٠ منافق لن يصبح الجيش ألفًا ومائة بل يصبح تسعمئة مثلًا! لأن هناك من يتأثر بكلامهم؛ ربنا عز وجل يقول { وفيكم سمَّاعون لهم } [التوبة :٤٧] هناك أناس يتأثرون بكلامهم، كلام المنافقين يؤثر في بعض المؤمنين.

عبدالله بن أبي بن سلول حين عاد في أحد، عاد بثلث الجيش! ليس كله كان منافقًا، صنْف كان فيهم ضعاف الإيمان فأثر فيهم كلام ابن سلول { قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ }[آل عمران :١٦٧] بمعنى إما أنه لن يحصل قتال أصلًا، أو نحن لا نُحسن القتال { لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ }[آل عمران :١٦٧]

إذًا { هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ }: دائمًا العدو القريب يجب أن تحترز منه!

لذلك تجد السورة التي بعدها جاءت سورة التغابن، تجد أنها تكلمت عن العدو القريب الذي بداخل الأسرة لكن بسبب الدنيا { إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } [التغابن: ١٤]

سورة المنافقون تتكلم عن العدو المنافق الذي في وسط المجتمع...

سورة التغابن تكلمت عن العدو الذي يمكن أن يكون داخل أهل بيتك ويصرفك عن أركان الدين، يصرفك عن الصلاة مثلًا... هذه الآية نزلت لأن النساء والذرية تسببوا في تأخر بعض المسلمين عن الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، **كانوا يبكون**: لا تتركونا وتهاجروا! لا تتركونا وتهاجروا!

فيقول لزوجته وأولاده: إذًا هاجروا معي...

يقولون: لا غير مناسب أن نترك مكة، هنا أموالنا وأرضنا وعائلاتنا

إذًا أنا أهاجر وحدي...

يقولون: حرام عليك، ستضيعنا... فظل بجانبهم!

لا هو هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا هو تعلَّم... فلما هاجر متأخرًا جدًا فوجئ أن كثيرًا من الصحابة سبقوه جدًا في العلم والإيمان والجهاد والغزو... فكادوا أن يفتكوا بأهليهم وذرياتهم، فنزل قوله عز وجل: { وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا }[التغابن: ١٤] من أكثر الآيات اللي بها عفو، عفو وصفح ومغفرة، لأنهم كانوا يريدون قتلهم... أنت المخطئ! يجب أن تكون أنت القائد! {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ {

تعجَّب! كيف يُصْرَفُون!

الله عز وجل يتولى ذلك بإذنه سبحانه وتعالى

{أَنَّى يُؤْفَكُون}.. كيف يصرفون بعد ما حضروا مجلس النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.. هل يعقل أنهم حين يحضرون مجلس النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبقون مصرين على النفاق!!! تعجَّب! كيف يصرفون عن الإيمان الذي في مجالس النبي صلي الله عليه وسلم.

لذلك ابن القيم يقول: آمن النجاشي ولم ير النبي صلي الله عليه وسلم ونافق ابن سلول وصلى في الصف الأول خلف النبي صلى الله عليه وسلم... القضية ليست قربًا وبعدًا.

ابن سلول كان قريبًا من النبي صلي الله عليه وسلم ويصلي في الصف الأول وكان منافقًا! والنجاشي لم ير النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُون}
[المنافقون: ٥]

{سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين}
[المنافقون: ٦]

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ..

الآية التي تليها.. يقولون ...

سبب النزول

هذه الآيات فيها أسباب نزول طويلة أرجو منكم أن تقرأوا تفسير ابن كثير لها.. من التفاسير التي استفاضت في ذكر الآثار .. فيه آثار جميلة جدًا.. فيه أسباب نزول لهذه الآيات أشهرها

أن النبي ﷺ كان في غزوة ثم حدث خلاف بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار.. الأنصاري كان من قبيلة ابن سلول المنافق.. فحدث اختلاف على ماء.. قيل إن المهاجري هذا كان غلامًا لعمر بن الخطاب، أيا كان... قيل اختلفوا على ماء، من الذي يأخذ ماء البئر .. فلطم المهاجريُ الأنصاريَ.. فحدث تعارك وقال يا للمهاجرين ياللأنصار وحدث تعارك بين المهاجرين والأنصار.

فابن سلول قال: "كيف يحدث هذا؟ أفبعد أن أطعمناهم وسقيناهم؟! والله ما أرى مثلي ومثلهم إلا كمثل القائل سمن كلبك يأكلك!" نحن من صرف عليهم ثم يكون هذا هو نكران الجميل والإساءة ليد المعونة التي قُدمت لهم! فقال: {لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا}.. وقال {لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ}

سنرى حين نرجع إلى المدينة ماذا سيحدث وأنا أخطأت حين خرجت معكم في الجهاد وأحاديث كثيرة وآثار كثيرة ذكرت هذه القصة.

زيد بن أرقم سمع ابن سلول قال هذه المقالة، فذهب للنبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما قاله ابن سلول، فأنكرَ ابن سلول قال: والله ما قلت.. حتى أن كثيرًا من الناس عاتبوا زيد بن أرقم لماذا قلت؟ فحزن زيد بن أرقم كثيرًا، وفي روايات أنه بكى وفي روايات أنه مرض حتى نزلت هذه الآيات فبرأته.

فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أُذن زيد بن أرقم فأمسك بها وقال: (إن الله قد صدقك يا زيد)[٢] وقرأ عليه الآيات.. هناك تفاصيل كثيرة جدًا مذكورة كما قلت لكم وآثار كثيرة.

ولما جاء زيد بن أرقم قال للنبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعني أضرب عنق هذا المنافق! وكذلك عمر وأسيد بن حضير، كلٌ منهم كان يأتي للنبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له دعني أضرب عنقه، فيقول له

[٢] - كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أُبَيٍّ، يقولُ: لا تُنْفِقُوا علَى مَن عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ حتَّى يَنْفَضُّوا مِن حَوْلِهِ، ولَئِنْ رَجَعْنَا مِن عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذلكَ لِعَمِّي أوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فأرْسَلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ وأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا ما قالوا، فَكَذَّبَنِي رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وصَدَّقَهُ، فأصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ في البَيْتِ، فَقالَ لي عَمِّي: ما أرَدْتَ إلى أنْ كَذَّبَكَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ومَقَتَكَ؟ فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ} فَبَعَثَ إلَيَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَرَأَ فَقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ صَدَّقَكَ يا زَيْدُ..
الراوي: زيد بن أرقم | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٤٩٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(أوقاتِلُهُ أنت إن أمرتك؟).. أنت تقول كلامًا فقط أم ستقتله حقًّا؟ فقال عمر: نعم، وقال أسيد: نعم الله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه! فقال النبي: (اجلس)[٣]

حتى إذا عادوا بعد فترة طويلة، عادوا للمدينة فعبدالله ابن عبد الله بن أبي بن سلول ابن رأس المنافقين – وكان مؤمنًا مخلصًا– جاء للنبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال يا رسول الله لقد سمعت –طبعًا أنا أذكر لكم ملخص الروايات والتفاصيل موجودة في ابن كثير وغيره– قال يا رسول الله: سمعت أنك تريد أو أن أحدهم يريد أن يقتل والدي،

يا رسول الله لقد علمت المدينة أني من أبرِّ الناس بوالدي، وإني والله لا أنظر هيبة له، ولكن إن أردت قتله فلتأمرني فأنا أقتله –تريد قتله أنا أقتله–، فوالله إني أخشى أن يقتله أحد من المسلمين فلا تدعني نفسي أراه يسير بين الناس فيقولون قاتل أبي، فتراودني نفسي فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر –يتكلم بصراحة شديدة، وهو يعرف نقطة ضعفه– قال أنا خائف من نفسي أن تخونني فأقتل مسلمًا، فاجعلني أنا من يقتله أفضل،

---

[٣] أنَّ عروةَ بنَ الزبيرِ وعَمرو بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ أخبراه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غزا غزوةَ الْمُريسيعِ ، وهي التي هدم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيها مناةَ الطاغيةَ التي كانت بين قفا الْمُشلَّلِ وبين البحرِ ، فبعث رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خالدَ بنَ الوليدِ فكسر مناةَ ، فاقتتل رجلانِ في غزوةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تلك ، أحدُهما من المهاجرين والآخرُ من بهزٍ وهم حلفاءُ الأنصارِ ، فاستعلى الرجلُ الذي من المهاجرين على البهزيِّ فقال البَهزيُّ : يا معشرَ الأنصارِ ، فنصره رجالٌ من الأنصارِ ، وقال المهاجريُّ : يا معشرَ المهاجرين ، فنصره رجالٌ من المهاجرين ، حتى كان بين أولئك الرجالِ من المهاجرين والرجالِ من الأنصارِ شيءٌ من القتالِ ، ثم حجَز بينهم ، فانكفأ كلُّ مُنافقٍ أو رجلٍ في قلبه مرضٌ إلى عبدِ اللهِ بنِ أبيِّ بنِ سلولٍ ، فقال : قد كنتُ تُرجى وتَدفع فأصبحت لا تضرُّ ولا تنفعُ ، قد تناصرَت علينا الجلابيبُ وكانوا يدعون كلَّ حديثِ هجرةٍ الجلابيبَ فقال عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ عدوُّ اللهِ : لئن رجَعْنا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ ، قال مالكُ بنُ الدُّخشُمِ وكان من المنافقين أولم أقُلْ لكم لا تُنفِقوا على مَن عندَ رسولِ اللهِ حتى ينفضُّوا ؟ فسمع بذلك عمرُ بنُ الخطابِ فأقبل يمشي حتى جاء رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال : يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي في هذا الرجلِ الذي قد أفتنَ الناسَ أضربْ عُنُقَه يريد عمرُ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لعمرَ : أَوَقاتِلُه أنت إن أمرتُك بقتلِه ؟ قال عمرُ : واللهِ لئن أمرْتَني بقتلِه لأضربنَّ عُنُقَه ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : اجلِسْ ، فأقبل أُسَيدُ بنُ الْحُضَيرِ وهو أحدُ الأنصارِ ثم أحدُ بني عبدِ الأشهلِ حتى أتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال : يا رسولَ اللهِ ائذنْ لي في هذا الرجلِ الذي قد أفتنَ الناسَ أضربْ عُنُقَه ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : أَوَقاتِلُه أنت إن أمرتُك بقتلِه ؟ قال : نعم واللهِ لئن أمرتَني بقتلِه لأضربنَّ بالسيفِ تحت قِرطِ أُذنَيه ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : اجلِسْ ، ثم قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : أَذِّنوا بالرَّحيلِ ، فهجر بالناسِ فسار يومَه وليلتَه والغدَ حتى متع النهارُ ثم نزل ثم هجر بالناسِ مثلَها فصبَّح بالمدينةِ في ثلاثٍ سارَها من قفا المشلَلِ ، فلما قدِم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المدينةَ أرسل إلى عمرَ فدعاه فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : أي عمرُ أكنتَ قاتلَه لو أمرتُك بقتلِه ؟ قال عمرُ : نعم ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : واللهِ لو قتلتَه يومئذٍ لأرغمْتَ أنوفَ رجالٍ لو أمرتَهم اليومَ بقتلِه امتثلوه ، فيتحدَّثُ الناسُ أني قد وقعتُ على أصحابي فأقتلُهم صبرًا ، وأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا إلى قوله لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ الآية.
الراوي: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري | المحدث: ابن كثير | المصدر: تفسير القرآن | الصفحة أو الرقم: ١٥٨/٨ | خلاصة حكم المحدث: [غريب]

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بل نترفق به ونحسن صحبته[٤]، فسبق عبدالله بن أبي ابن سلول، سبق إلى المدينة... ووقف على باب المدينة ومنع بن سلول أن يدخل المدينة حتى يأتي النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان النبي سيره ساقة، أي كان يتأخر في السير حتى يسير مع الضعفاء، فلما وصل النبي صلى الله عليه وسلم، وجد عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول يوقف أباه على باب المدينة ويمنعه من الدخول، ويقول له: والله لن تدخل حتى يأذن لك رسول الله حتى تعلم أنك أنت الذليل وهو العزيز! فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحفظ هذا الجميل لعبدالله ابن عبدالله بن أبي بن سلول.

حتى لما مات بن سلول المنافق أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه ليكفن فيه، قيل لأن ابن سلول أعطى ثوبًا للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، لما جاء أسيرًا في غزوة بدر فكافأه النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لا يترك يدًا لابن سلول عليه.

الشاهد آثار جميلة جدًا ممكن تعودوا لها في التفاسير.. لا تحرموا أنفسكم من قراءة التفاسير الأثرية في الطبري وابن كثير.. آثار جميلة جدًا.

الشاهد أنه قيل لابن سلول تعال إلى النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليستغفر لك عما قلت {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ}.. قال لا أريد!

{وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّون}.. قيل يصدون أنفسهم، وقيل يصدون غيرهم.. {وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ}.. في قمة الاستكبار، لا يريد! من وقت قليل كان يُقسم أنه لم يقل، والآن أصبح مستكبرًا! تناقض في النفس.

{وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُون}

[٤] قوله: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً؛ فمرني به؛ فأنا أحمل إليك رأسه؛ فوالله؛ لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)). وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث؛ كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: ((كيف ترى يا عمر ؟! أما والله؛ لو قتلته يوم قلت لي: أقتله؛ لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم لتقتله لقتلته)). قال: قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري.
(٣٥٧٦/٦). | [إسناده ضعيف.] | رواه ابن إسحاق بالإسناد المرسل

{سَوَاء عَلَيْهِمْ} فقال ربنا سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم -وكان النبي صلى الله عليه و سلم شديد الحرص على كل الناس- {سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[المنافقون: ٦]

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ}.. الآية التي بعدها {يقولون..}

هذا تعريف لأهم أفكار المنافق وكيف يحارب الإيمان.. {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ}:

الوصف الأول { لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ}[المنافقون: ٧]

المنافقون في السورة:

{تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} ↩ فيه قوة

{تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} ↩ لديه فصاحة وبيان

{لا تُنفِقُوا} ↩ معهم أموال

{لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} ↩ لديه عزة وله شرف بين القبائل

لكن استعملوا كل هذا للصد عن سبيل الله! فقالوا: نكلم رؤساء القبائل بألا ينفقوا على المهاجرين الضعفاء حتى ينفضوا من مجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم-..

وهذه وسيلة قديمة حديثة.. الضغط الاقتصادي على المسلمين حتى ينصرفوا عن هذا الدين مثل شِعب أبي طالب.. وقريش فعلت هذا، حاصرت النبي -صلى الله عليه وسلم-.. خلق لئيم فيه دناءة، الضغط المادي بالدنيا لأجل أن ينفض الناس عن الدين؛ لأنهم يعلمون أن الناس أكثر ما يؤلمهم قضية الدنيا والضغط الذي فيها.

السورة التي قبل –سورة الجمعة– كانت الدنيا هي التي تمر وأنت في مجلس النبي –صلى الله عليه و سلم–: { وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها}[الجمعة: ١١].. فكان كثير من الناس –وهو جالس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم–، عندما تمر الدنيا التي تصرفه عن دينه يترك مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويقوم، وذكرنا هذا في آخر سورة الجمعة.

هنا –في سورة المنافقون– الانفضاض ليس بسبب مرور الدنيا، بل بسبب قلة الدنيا، السبب هو ضغط يكون عليك من أعداء الله... يضغط عليك اقتصاديا لكي لا تستمر بالسير في طريق الدين.

تفكير المنافق

الاجتماع الذي حدث في سورة الجمعة، يحصل انفضاض بعده في سورة المنافقين {لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا}[المنافقون: ٧]، الغرض الأصيل الذي يريد المنافقون الوصول إليه هو أن { ينفضوا}... غرض نفاقيّ أصيل.. أن يفضوا كل تجمع إسلامي! {حتى ينفضوا} بأي وسيلة، أشهر وسيلة هي الضغط الاقتصادي، نغلق عليهم الدنيا التي عندهم، وهم من أنفسهم بعد قليل سيقومون، سيحصل انفضاض سواء بضغط منا، أو نعمل القوافل التي تمر بالدنيا والبريق الذي يمر بهم، هم أنفسهم الذين سيقومون {وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها}[الجمعة:١١] لم يبق مع النبي –صلى الله عليه وسلم– إلا أحد عشر رجلًا أو ثلاث عشر على أكثر الروايات، هؤلاء الذين جلسوا مع النبي –صلى الله عليه و سلم– هم الأمان، لكن الذين جلسوا مع النبي بذلوا بذلًا ليس لغيرهم، ضحوا وتعبوا أكثر من غيرهم، الذي اختار أن يكون مع الثلة المؤمنة لا يستقيم أن يكون مثل بقية الناس، ولن يتعامل في قضية الدنيا مثل بقية الناس، يكون له اختيارات خاصة قد لا تصلح للتعميم، اختار أن يكون من الثلة المؤمنة التي ستجلس مع النبي –صلى الله عليه و سلم–، ومهما مرت الدنيا، ومهما حصل الضغط الاقتصادي لم ينفض، يجب أن يكون له اختيارات خاصة، لن يكون مثل بقية الناس، ولا يسأل هل هذا الأمر حلال أم حرام، هل هو مباح؟ لن يسأل هذه الأسئلة، هو سيسأل أسئلة أخرى، له اهتمامات أخرى، سيسأل كيف نصل إلى الفردوس الأعلى؟ ماذا فعل أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ ما هو طريق الأنبياء، هو يريد أن يكون من الثلة التي لم تنفض مهما حدث سواء مرت القافلة

أو حصل ضغط. الوسيلة متكررة حتى ينفضوا، هم يعلمون أن جزءًا كبيرًا سينفض بأول ضغط من انفتاح الدنيا {لا تنفقوا على من عند رسول الله}[المنافقون: ٧] وهم يعلمون أن هذه العندية جزء كبير منها -يحصل انفضاض- بسبب الضغط الاقتصادي {لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} إذًا لو أردنا أن نضع غرضًا إيمانيًا أصيلًا مقابل هذا الغرض النفاقي سيكون "حتى يجتمعوا" فنحن نريد أن نفكر ماذا نفعل حتى يجتمع أهل الإيمان، هم يفكرون ماذا نفعل حتى ينفض المؤمنون... نحن تفكيرنا ماذا نفعل حتى نحافظ على تجمع أهل الإيمان، نريد أن ننزع الضغائن حتى نصلح بينهم، كيف نكفل بعض الأسر الفقيرة، كيف نساعدهم؟ إذًا تفكيرنا "حتى يجتمعوا"، هم تفكيرهم "حتى ينفضوا"، يجب أن يكون هناك تفكير مقابل، يجب أن يكون هناك بذل مقابل، ودائمًا يحصل تحذير للأغنياء من العاملين للدين لكي لا يتعاونوا فيما بينهم؛ لأنهم يعلمون أن أحد أركان البذل، بذل النفس والمال باستمرار وآيات الإنفاق في الواقع المدني والمكي كثيرة جدًا {لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا}[المنافقون: ٧].

لكن الحقيقة أو العقيدة التي ينبغي أن تستقر في قلب المؤمن {ولله خزائن السموات والأرض} الرزق بيده سبحانه وتعالى.. عقيدة الرزق هذه بيد ربنا، عقيدة صعبة جدًا أنها تستقر، تحتاج مجاهدة، الرزق بيد الله والأمن بيد الله... وقضية الرزق والأمن وأنهما بيد الله تناولها القرءان كثيرًا لا سيما في مواطن الهجرة والجهاد، وهذا يحتاج درسًا لوحده... أظن قد ذكرناه من قبل في درس خواتيم سورة العنكبوت.

{ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون} هذه المسألة تحتاج لفقه، **مسألة أن العزة لله ولرسوله تُعَلَّمْ**، تحتاج أن تتعلمها... أن العزة عبارة عن كذا وأنها لله وحده **ومسألة أن الخزائن بيد الله في السماوات والأرض تحتاج إلى فقه**، والفقه فيه زيادة استنباط، وفيه زيادة بصيرة ورؤية... فأن توقن أن الرزق والخزائن بيد الله سبحانه وتعالى تحتاج لفقه.. وكلمة لا يفقهون عندما تأتي لتجمعها في القرءان جاءت في سورة الحشر وفي سورة الأنفال في مواطن بالنسبة للكفار واليهود لأنهم يتعاملون تعاملًا ماديًا فقط، {لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله}[الحشر: ١٣] وفي الأنفال {إن يكن منكم عشرون صابرون}[الأنفال: ٦٥] ختمت أيضًا بأنهم لا يفقهون، لذلك حين تتبع {لا يفقهون} في القرءان تجدهم يتعاملون تعاملًا ماديًا فقط... أما المؤمن فيتعامل تعاملًا غيبيًا، الذين لا يؤمنون بالغيب يتعاملون تعاملًا ماديًا... المؤمن مفهوم الرزق مثلًا عنده مختلف، هو موقن بأن الرزق بيد الله {ولكن المنافقين لا يفقهون}[المنافقون: ٧].

يقولون -أي المنافقين- أيضًا {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل} يحرص المنافقون على إظهار شرفهم وإظهار ذِلة المؤمن... يحرص دائمًا على إذلال المؤمن، أن المؤمن دائمًا يكون محتاجًا ذليلًا، فالناس ترى هذا الوضع فينفضون عن أهل الإيمان {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}[المنافقون: ٨] لابد أن تُعَلَّمْ، أن يعلمها المؤمن... أنت مؤمن، أنت عزيز، أنت تحافظ على الإيمان في قلبك {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}[آل عمران: ١٣٩]، لو حافظت على إيمانك حتى لو مررت بهزيمة فأنت عزيز، أنك أنت الأعلى، إن لم تتأثروا، ولم تؤثر هذه الهزيمة في إيمانكم {وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}[آل عمران: ١٣٩].. {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون}[المنافقون: ٨]

الحكم النبوية في التعامل مع المنافقين

- من الحِكم النبوية في التعامل مع المنافقين؛ عندما جاء عمر وغيره من الصحابة قائلًا: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي -صلى الله عليه و سلم-: دعه، لا يقول الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

- الأمر الثاني النبي -صلى الله عليه و سلم- قال لعمر بعدما مرت فترة زمنية، وابنه عبد الله ابن سلول هو الذي أذله... فكثير من الذين كانوا في صف ابن سلول -عندما ظهر ابن سلول على حقيقته والنبي صلى الله عليه و سلم هو الذي تركه يُفضح- عادوا ووقفوا في صف النبي بعد ما كانوا في صف ابن سلول، فالنبي -صلى الله عليه و سلم- نادى عمر وقال: (يا عمر لو قتلته -أي ساعة كنت تريد قتله- لأرغمت أُنوف أناس -أي كنت ضايقت أناسًا- لو أمرتهم أنا اليوم بقتله لامتثلوا)[٥]... هؤلاء الناس الآن لو أنا قلت لهم اقتلوه هم من سيقتلوه، هؤلاء الناس انتقلوا من صف ابن سلول إلى صف النبي -صلى الله عليه وسلم- فكيف تكسب الناس، طالما هو منافق ولا يجهر بالنفاق، فيجب أن تحول المعركة معه لوضع علني، يجب أن يعلمه الناس على حقيقته، أول أمر قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)[٦]، النبي -صلى الله عليه وسلم- لو كان سيقتل كان

---

[٥] سبق تخريجه انظر حديث رقم ٣

[٦] كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجر: يا للمهاجرين، فقال رسول الله: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها، فانها منتنة فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: (دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)

سيقتل من؟ ابن سلول، أي سيقتل كم نفس؟ نفس واحدة، لكن الناس ماذا ستقول؟ إنه يقتل "أصحابه"، وحتى ينتقل الخبر لأرجاء جزيرة العرب سيقولون.. لأن الناس لن تفرق بين كونه منافقًا أو غير منافق، سيقولون يقتل من؟ أصحابه، لأن ابن سلول كان أحيانًا يخرج في الجهاد... فسيقولون: هذا صحابي، وخرج معه في الجهاد وقتله، إذًا لا أمان في السير معه، الناس ستقول هذا... فالناس تُردد أي شيء يتنقل لها الخبر فتكرره.

فحين يصل الخبر من المدينة مثلًا لشمال جزيرة العرب سيُقال بدل ما قُتل ابن سلول المنافق، قُتل "١٠٠" من الصحابة مثلًا، بل من خيرة الصحابة، الخبر سيصل هكذا، فمراعاة الجانب الإعلامي مهم جدًا.

ومن حكمة النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:(لا يقول الناس ..) فلا يجهر بالعداوة... والناس لا تعلم يطبق ماذا؟ والحد لماذا يطبق؟

الأمر الثاني، الحرص على أن يكسب ابنه قال له: (لا... بل نترفق به ونحسن صحبته)[٧]

فالشاهد هنا الحكمة النبوية؛ النبي -صلى الله عليه وسلم- تعامل بحكمة مع العدو، يجب أن أدرس العدو الذي أمامي، هو يُسر العداوة ولا يظهرها، أنا محتاج أن أفضحه، محتاج أن أتركه يكشف نفسه، ممكن أن أسأله أسئلة بحيث يظهر للناس على حقيقته... أحيانًا يحصل مثلًا محاورات، يأتوا بشخص مثلًا يدافع عن الدين ويأتي شخص يحاوره، وطبعًا الذي يدافع عن الدين أمام الناس غالبًا يكون متشددًا، فكيف يُظهر للإعلام أنه هو المنافق، يجب أن تعرف كيف تُظهر النفاق؟ يجب أن أساهم في إظهار ما بداخله من نفاق، إظهار موقفه من آيات القرآن، موقفه من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسأله أسئلة يجيب إجابات ستظهر للناس حقيقته ونفاقه.

ختام السورة

وختام السورة عجيب جدًا، السورة كلها من أول لحظة منافقون يأتون مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم-، ماذا يفعلون في مجالس النبي -صلى الله عليه وسلم- سواء الجهادية أو العلمية؟ السورة

---

[٧] الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٢٥٨٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]
سبق تخريجه انظر حديث رقم ٤

موضوعها ماذا يفعل المنافقون في مجالس النبي صلى الله عليه وسلم سواء العلمية أو الجهادية.... لكن الختام خطاب للمؤمنين {ياأيها الذين ءامنوا}! لدرجة أن بعض المفسرين قال: الخطاب هنا للمنافقين ومعنى الآية: {ياأيها الذين ءامنوا} أي ياأيها الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر... لماذا؟ لأنه يرى أن السورة كلها تتكلم عن النفاق، فقال: إذًا هذا النداء للمنافقين أيضًا.

لكن كثيرًا من أهل العلم، بل ورد عن ابن عباس أنها في المؤمنين { ياأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون }[المنافقون: ٩] لماذا التفت الخطاب من المنافقين لأهل الإيمان؟ ولماذا هذا الأمر تحديدًا {لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم} تحديدًا؟ هذا تحذير للمؤمن من أول دركة من دركات النفاق، أول شيء يسقط فيه المؤمن تجاه النفاق، أنه يقدم المال والأهل على الدين أو أنه "يتلهى" { لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله }.

قيل {ذكر الله} التوحيد، وقيل القرآن، وقيل عموم الدين، أنه ينشغل عن توحيد الله، عن معاني القرآن، عن الدين "بالأموال والأولاد" هو بذلك بدأ يقدم مصلحته الشخصية وهذا هو النفاق أصلًا، **"ملخص النفاق: فكر المصلحة"**

النفاق كله مصلحته فقط، بمعنى أن دين المنافق: شخصه، مصلحته... الكافر يدافع عن عقيدة باطلة، اليهودي يدافع عن عقيدة باطلة، النصراني يدافع عن عقيدة باطلة، المسلم يدافع عن عقيدة صحيحة، المنافق يدافع عن نفسه، يفكر في نفسه، مصلحته فقط، فأول ما تقدم مصلحتك على الدين هذا خطر.

لذلك صفات المنافق (إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)[٨] لا تفرق معه أي أخلاق... المهم مصلحتي، مصلحتي في أن أكذب إذًا أكذب، مصلحتي في أن أخون؛ أخون، مصلحتي في أن أخلف الوعد؛ أخلف الوعد، ليس لديه أي أخلاق ثابتة، كل الأخلاق عنده نسبية... متغيرة حسب مصلحته... أهم شيء مصلحتي.

[٨] أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ.
الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري
الصفحة أو الرقم: ٣٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

فتقديم مصلحتك الشخصية على مصلحة الدين أول دركة في دركات النفاق، أنت تقرأ من أول السورة ومتعجب منهم، هل ممكن أن تكون مثلهم في يوم من الأيام؟ لا يأمن الإنسان على نفسه أبدًا... فإنسان يلتزم بأحكام الدين فترة ويذوق معاني الدين فترة ثم يُلهى بالدنيا، بالمال، بالولد وينشغل ويقوى حب الدنيا في صدره، ويزداد بعدًا عن الدين ممكن أن يصل إلى هذه المرحلة.

لذلك عندما يُحضرون شيخ "جاكسون" ويذكر لك مثلًا شخصًا كان ملتزمًا، ثم عاد للمعصية وانتكس... ويصور لك هذا الشيخ الدين وكأنه ليس فيه إلا أحد خيارين:

- إما أن هذا الدين صعب ولا يمكن الالتزام به في الحياة
- أو أن أهل هذا الدين كلهم منافقون، يجمعون بين المعصية والطاعة!!!

وإذا نظرنا في هذا الفيلم –فيلم سبع سنين– كان تحليل بعض الناس له، أنه يخاطب غير الإسلاميين ليُنَفِرَهم، أنا أرى أن غير الإسلاميين لا يحتاجون أساسًا أن تُنفرهم، أصلًا لم يعودوا يفكروا، وأغلبهم يلحد، لا أعتقد أن هذا الفيلم يفكر فيهم... أيًا كان، الخطورة أنه يخاطب إشكالية تحدث فعلًا، كالدروس التي تلامس الإنسان، تكلمه في مشكلة ما هو واقع فيها فعلًا، لكن هذا الفيلم قدم حلًا باطلًا، هو لامس مشكلة حقيقية، لكنه –هذا الفيلم– قدم حلًا باطلًا، وهو إما أن تترك الطريق نهائيًا، أو أن تظل منافقًا أو الطريق أصلًا مستحيل أن يُعاش، غير واقعي!!!

ما نريد قوله أنه فعلًا من الممكن أن إنسانًا يمشي في طريق الإيمان ثم يسقط؛ لأن هناك شيطانًا، وهوى ونفس أمارة بالسوء... هذا طبيعي وموجود، والقرآن حذرنا من هذا، **فالحل الصحيح أن تحرص على الإيمان، وأن تعود لنفس البيئة، التي شعرت فيها بنفس شعورك الأول، السعادة الأولى عند بداية التزامك**... فترى أنك قد غيرت وبدلت.

ربنا أصلًا من البداية أخبرنا أن هذا الطريق فيه ألم، لكن ما يخفف هذا الألم ما نشعر به من رجاء في رحمة الله {إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ}[النساء: ١٠٤] لكن ما الفرق بيننا وبينهم؟ {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}[النساء: ١٠٤] الخطورة أن الإنسان يسير في هذا الطريق حتى يصل لمنتصفه، منتصف الطريق هو الخطورة، هناك ألم وبذل وتضحية، فيقف في نصف الطريق، ينظر وراءه يجد نفسه لا يستطيع أن يرجع، يشعر أن هناك أذى، هناك ألم في الطريق، لقد ضحى وترك لكي يسير

في الطريق، فلو فقد المشاعر الدافعة التي جعلته يصل إلى منتصف الطريق قد ينتحر، قد ينتكس، قد يسقط، لأن الطريق وعر (حفت الجنة بالمكاره)[٩] النبي -عليه الصلاة والسلام- أخبرنا، نعم طريق الجنة فيه مكاره، فهو وصل لمنتصف الطريق، فجأة ابتعد عن الوحي، ابتعد عن زاد الإيمان، ابتعد عن الدروس، ابتعد عن البيئة الإيمانية، ابتعد عن الوعظ، ابتعد عن المشاعر التي كانت تثبته في هذا الطريق، انشغل بالدنيا، فيبدأ يسأل نفسه: ما الذي أتى بي هنا؟! لماذا جئت إلى وسط هذه المكاره كلها؟! ينظر للطريق الثاني حفت النار بماذا؟ بالشهوات... الطريق الثاني مليء بالشهوات، إذًا أذهب للطريق الثاني!

وأن يحدث لبعض الناس إشكالية في منتصف الطريق وارد... وربنا أخبرنا أن بعض الناس حدث لهم هذا، وللأسف اختاروا الرجوع، وأن المؤمنين سيعاتبونهم، سيقولون لهم يوم القيامة {وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[الحديد: ١٤] نعم هؤلاء سيقال لهم هذا، لو سقطوا -والعياذ بالله- سيقال لهم هذا: أنتم من ضيعتم أنفسكم.

ومن روعة القرآن هنا أنه أتى بأول علامة خطرة في حياتك، يجب أن تنقذ نفسك... من رحمة ربنا سبحانه وتعالى أنه جعل حرارة الجسم ترتفع عند حدوث أي مشكلة في الجسد؛ لكي يجري الإنسان ويبحث عن علاج، شعورك بالألم دلالة أن هناك شيئًا خطأ في جسمك، شعورك بحرارة الجسد هذه علامة أعطاها لك ربنا، أنت محتاج أن تتحرك وتبحث عن علاج.

وهكذا أيضًا؛ شعور قلبك بالميل للدنيا، والنفور عن الدار الآخرة، والبعد عن صلاة الجماعة، والبعد عن بيئات الإيمان، والنفور من سماع الوعظ، هذا إنذار!! يوجد مشكلة، انقذ نفسك! ليس الحل أن تتعايش، لن تستطيع أن تتعايش، هناك مزاحمات تحدث داخل قلبك، معاني الإيمان تُزيح معاني النفاق، ومعاني النفاق لو قويت تُزيح معاني الإيمان، فهنا الخطورة... في سورة المنافقين، في آخر السورة الخطاب لأهل الإيمان احذروا من الوقوع في هذا المستنقع، **أول دركة تقع فيها أن تنشغل بالدنيا**، أن تقوم من مجلس الإيمان {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا}[الجمعة:١١] هذه علامة أنك تسير في طريق خطر، فلا تتهم الطريق.

[٩] "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار الشهوات"
الراوي: أنس بن مالك / المحدث: الألباني / المصدر: صحيح الترمذي / خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

مثلًا عندما نسمع حديث أول ثلاثة تسعر بهم النار منهم مجاهد، إذًا لا أحد يجاهد! والثاني عالم، فلا أحد يطلب العلم! والثالث قارئ قرآن، فلا أحد يقرأ قرآن! سندخل النار!! يقول لك أول ثلاثة تسعر بهم النار، مجاهد وقارئ للقرآن وعالم أو منفق، فيقول الجهاد والعلم والقرآن يدخلون النار أتريدون أن ندخل النار؟!

هذا بالضبط ما يقدمه الفيلم؛ يقول لك بما أن بعض الناس تنتكس، فالحل ألا تمشي في الطريق، كيف هذا؟!!

فأحيانًا الباطل يكون في قمة الوضوح، لكن لأنه يدخل من باب شهوات النفس ويتزين بشيء موافق للنفس والهوى، الإنسان يقترفه لأنه موافق لهواه!

أعتذر أن دنست مجلس القرآن بذكر الكلام عن هذا الفيلم السيء... وهو أقل من أن نتكلم عنه، ولكن للأسف اضطررنا أن نتكلم عنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ خسارة لأنه كان معه شيء قيم فخسره وضيعه، معه الإيمان وضيعه واستبدله، مصطلحات التجارة والبيع والشراء والخسارة تذكر في القرآن لكي يشعر الإنسان بقيمة ما كان معه.

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم...} الحل أن تبذل، {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ...}[المنافقون: ١٠] أظن أن هناك أثر يُروى عن ابن عباس، أنه لو كان رأى خيرًا ما تمنى الرُجعى، هو أكيد عندما تمنى الرجعى لا بد أنه رأى بدايات عذاب {... فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ...} بذل... إنفاق، والآية قبلها كانت {لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ...} {...فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ يارب أعدني وسأكون إنسانًا صالحًا! الآن تعرف كيف تكون إنسانًا صالحًا! عرفت أين كانت مشكلتك! عرفت ما الذي أوقعك! وعرفت أنك كنت محتاجًا لأن تتصدق! وعرفت أنك كنت محتاجًا لأن تسير على طريق الصلاح!

مثل فرعون؛ يرى العصا ويرى الآيات ويرى اليد ويرى فلق البحر، كل هذا يراه ولا يؤمن!! عندما يأتي له الموت ويرى ملك الموت {ءامنت} هذا يعني أنك تعرف الحق من الباطل، لكنك كنت تتبع الهوى!!

{ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جاء أجلها} اجعل هذا هو الشعار الذي تخرج به اليوم، عندما تتأخر وتتردد، التردد من صفات المنافقين، عندما تتردد في طاعة اقرأ هذه الآية؛ فلا تؤجل حتى تأتيك فرصة أخرى {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا} ولأن النفاق في القلب؛ لذلك جاء معه وصف الخبير {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾}

أسأل الله عز وجل أن يطهر قلوبنا من النفاق وأن يجعل قلوبنا خالصة له سبحانه وتعالى.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، جزاكم الله خيرًا.